

عبد اللطيف البحر.. ثلث قرن من الوفاء والتضحيات

بقلم: حمد محمد المرعي

«لو ان المسؤولية مورست كما مارسها بوخالد لنعمت الكويت ولما آلت الى ما هي اليه». هكذا قال لي أحد الأصحاب اثر استقالة الأخ والصديق العزيز عبد اللطيف البحر من مركزه وكيلا لديوان سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء. واستطرد صاحبي قائلاً «وهل يعقل أن يترك أحد مثل هذا المنصب في وقت تعودنا فيه على التشبث بالمناصب وتوريثها في بعض الأحيان.. ولا منقذ إلا الإحالة إلى التقاعد أو إلى الدار الآخرة».

أكثر من ثلث قرن وبحر بوخالد يموج في عطائه وفي وفائه وفي تواصله وفي تضحياته. وتجده وهو على رأس أكبر مؤسسة حساسة وحيوية وقراراتها مصيرية زامنها منذ بداياته قبل أكثر من ربع قرن وشارك في لبنات تأسيسها وبذل جهوداً مهنية وشخصية في تطويرها لتصل إلى ما وصلت إليه. ولم يكن ذلك سهلاً، فالأعمال المتلاطمة في مهنته ومركزه هي من النوع الفجائي في طبيعتها والمستمرّة بلا توقف في متابعتها والمعقدة في تركيباتها من حيث معالجتها لأمر هي متصادمة ومتضاربة في ذاتها.

وذلك لكونها وظيفية التزامات ومتطلبات لا تتوقف، كما هي مهنة معالجة أزمات داخلية وخارجية من التي لا ترد كلمة «استرخاء» في قاموس أعمالها. كيف لا وهي التي لا ترتبط بالتوقيت المحلي للبلاد ولا حتى بتوقيت غرينتش العالمي؟ وبالحق والحقيقة فإذا ما كان يومنا ٢٤ ساعة فإن يوم بوخالد، حفظه الله، لا يمكن أن يقل عن ٢٨ ساعة لاستمرارية الأعمال وترابطها من جهة وتزامنها من جهة أخرى وحجمها من جهة أخيرة.

أكثر من ثلث قرن كرّس نفسه للخدمة العامة بتفان وإخلاص نادراً ما نجدهما في بعض أشخاص غيره من الذين يجنّدون مصالحي البلاد لمأرب أخرى. وغني عن القول فإن هذا الرجل لم يكن، ولن يكون بحاجة إلى مركز أو منصب حساس وشائك ناهيك عن وظيفة أو امتيازاتها بتدنيها المعروف. ولو أنه كرّس نصف ذلك الزمن لأعماله ومصالحه الخاصة لكان ذلك من حقّه المشروع على نفسه وواجبه تجاه مصالحيه.. ولكن ليس بوخالدنا هذا.. ألكونه من العملات النادرة التي بدأت في الإنقراض من بلادنا الصغيرة هذه؟

لقد جاء في وقت لا الدولة ولا مؤسساتها قد اكتمل نضوجها، وعاصرها في أوقات أقل ما يقال عنها تميّزها بالتطور السريع المطرد وافرزاته المرهقة الإجتماعية كانت أو الاقتصادية أو السياسية وغيرها. وواصل مسيرته معها في أزمنة حملت معها انسجاماتها وتناقضاتها الداخلية والخارجية. فترة من الزمن لا يستهان بها تلاطمت فيها أمواج وعدت فيها أعاصير قضاها هذا الرجل في خدمة بلاده بلا توان ولا تردد. وبالطبع لم يكن ذلك بلا ثمن أو بلا مردود. فالمرود كان إنجازات متكاملة متلاحقة أما الثمن فبالتأكيد كان على حساب الراحة النفسية والصحة الجسمية. وها هو قد سلم المركز للغير بعد أن أدّى رسالته بل وزيادة بالتمام والكمال بعد أن شرف المكان والزمان. وها هو كما وصل إلى ما وصل إليه مختاراً تركه مختاراً.. منزهاً ومشرفاً.

ومع هذا فلم يجد أحد في شخص وشخصية ذلك الإنسان إلا تلك الابتسامة اللطيفة والكلام الهادئ والجدية المتناهية في الإخلاص والحكمة في تدبير الأمور لهدف كان واضحاً يميّز بالإنجاز المتكامل ولكن بالأسلوب الصحيح. وإن كان كذلك، فهل هي فطرته في الهدوء العنيف أو أنه العنف الهادئ. فلم يجده أحد يوماً إلا مرحباً بمطالبهم ومتابعته شخصياً بلا كلل، ولم يتوان لحظة عن توصيل مظالم الناس الى الجهات المسؤولة بلا ملل. ونقول ذلك بيقين من الواقع حيث أن الأمور في موقع مثل موقع بوخالد لم تكن لتجري وكأنها عسل ينساب صافياً ولا يمكن أن تكون كذلك. ومع هذا وذاك، وعلى عكس كل التوقعات، أو بالأحرى ما يطيب للبعض من القياديين بمن يتخذ من زحمة العمل ذريعة، فلم نجده إلا وافياً ومتواصلاً باستمرار في التزاماته الاجتماعية والأدبية وتراه وفي تزاوره ينشد أمور الغير بادئاً ولا ينتظر مبادرتهم بها. وكأنه في هذا الأب الحنون أو الأخ الودود أو الصديق الوفي للجميع. هكذا كان بوخالد - لا ولم يتوان في التفاني بعبائه، سواءً كان ذلك بما يمليه حكم وظيفته أو ما يستدعيه نبل شخصه. ولهذا كانت أعماله إنجازاً وإنجازاته تضحيات متواصلة بالوقت والجهد والراحة والصحة. ولكن لا الزمان ولا المكان يمكنهما من استهلاك طيبة وعملية مثل هذا الشخص الكريم.

وأخيراً، لك عبد اللطيف عبد الرحمن البحر، ومن الجميع، أطيّب التمنيات ودوام السعادة في حلك وترحالك. وها نحن والجميع يتطلع إن كان بالإمكان كتابة مذكراتك ولو بإيجاز.. لأن الحقبة التي عاصرتها بمركزك المرموق كانت حقبة هامة وحساسة في تاريخ هذه البلاد وتطورها. ومع هذا وذاك فإن تاريخك سوف يسجل بأسطر ناصعة. ولك أن تعرف أن ما ورد هنا ليس تكريماً وإنما كلمة طيبة لمناسبة طيبة.. أما التكريم في بلادنا العريضة وحفاظاً على ثوابت أنثرت والتقاليد فلا يكون إلا للموتى أما الأحياء أطال الله في عمرك فلهم الله من غير عباده. وختاماً فأستميحك المعبدة أن يأتي هذا ممن هم أصغر سنّاً وأقل مركزاً وأدنى دراية وخبرة. ولكنها مع هذا وذاك فهي الحقيقة لما أنتم عليه من إنسانية ونبل. فتقبل هذا من أخ مخلص.